

في نور محمد فاطمة الزهراء

فلم تُجِنَّ الأنفس الطاهرة والوجدانات النقية قوةً إيمانيةً كالقوة التي أجدتتها الزهراء، ولم يعرف تاريخ البشرية - على امتداده - ثباتاً كثبات بني علي وفاطمة على حقهم في الإمامة أو في خلافة الرسول. «حُوربوا فيها زمناً وتولواها من لاشكٍ عندهم ولا عند الناس في فضلهم عليه؛ كيزيد بن معاوية، فأنفوا أن يتركوها استخذاءً وخضوعاً... وحاربوا فيها كما حُوربوا، وصمدوا للطلب الحثيث طالبين ومطلوبين مائة سنة، ثم مائتين، ثم ثلاثمائة سنة حتى دانت لهم الخلافة باسمهم في عهد الدولة الفاطمية... فلولا خصال فيهم تعين على هذا النضال، لما ثبتوا هذا الثبات... فإذا كان مرجع هذه الخصال إلى وراثة - ولبدٍ لها من نصيب من الوراثة - فقد ورثوها عن فاطمة كما ورثوها عن علي، بل هي إلى ميراثهم من الزهراء أقرب منها إلى ميراثهم من الإمام...» [1579]. وإذا خيّل لامرئ أنهم طلبوها حكماً، يتسندون به غارب السلطة، فما كان أقرب أيديهم منها ساعة وفاة الرسول، ولا أحد عندئذ يعلم الخبر، ولا مطمع فيها لطامع يرجوها لنفسه على خلاف معهم أو على اتفاق... لكنهم لم يطلبوها غاية، وإنّما طلبوها وسيلة. ولا ملامة عليهم في ذلك، لأنهم الأولى بالولاية، الأعراف بحقها، الأقدر على القيادة على نهجها المستقيم. والولاية - لامرئ - هي أقصر الطرق إلى تحقيق الخير العام وإن رأينا الوالي - أيّ - وال - مهما أصاب، لا يعدم قادحاً من هنا، وشائناً من هناك. فالكمال لربّ الكمالات. ولقد طلبت فاطمة وعلي الإمرة أو الخلافة إيماناً واحتساباً في... ثم طلبها بنوهما من بعد ابتغاء وجه الله، وعلى سنن رسوله والزهراء والإمام (وَلَوْ أَنْ سَأَلَهُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْآيَاتُ أَنْ يَقُولُوا لَئِن كُنَّا إِلَّا مَرْضُوقًا وَإِن نَحْنُ إِلَّا أَهْلُ مَدْيَنَ وَوَعَدَنَّا آلَ مَرْيَمَ بَطْنِ مَرْيَمَ الْأَمْثَلِ)